«لفظي بالقرآن مخلوق»
ومذهب الإمام البخاري

الدكتور
عبد العزيز بن رئيس الرئيس
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٤٦هـ

المحتويات

مقدمة..... ١

ملخص مذهب الإمام البخاري ٢

ليس في كلام الإمام أحمد تضليل مَن فرَّق بين التلاوة والمتلو ٢

يعتقد الإمام أحمد والبخاري أن أفعال العباد من التلاوة مخلوقة والمتلو ليس مخلوقًا ٤

أنكر أحمد والبخاري على من قال: (لفظي بالقرآن غير مخلوق) ٦

سبب الخطأ على البخاري يرجع لأمورٍ أربعة ٨

التنبيه (١): احتاج البخاري لمزيد تفصيل بسبب خطأ بعض أهل السنة ١٠

التنبيه (٢): عادة الأشاعرة موافقة أهل السنة لفظًا ومخالفتهم حقيقةً ١٢

التنبيه (٣): لم يُكفِّر أحمد اللفظية لمجرد القول باللفظ ١٣

التنبيه (٤): اللفظية تستَّروا باللفظ عن القول الصريح بأن كلام الله مخلوق ١٤

التنبيه (٥): لا خلاف بين ابن تيمية وابن القيم في مسألة التفريق بين اللفظ والتلاوة..... ١٥

فهرس المراجع والمصادر ١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... أما بعد:

فإن من المحن العظيمة والمصائب العصيبة التي مرت بأئمة السنة محنة القول بأن القرآن مخلوق، حتى قال الإمام البخاري: " **إنها مسألة مشؤومة** " -كما سيأتي-.

يا لله كما تطايرت فيها من رقاب، وسُفكت فيها من دماء، وجُلدت بسببها أئمة، وسُجن من أجلها أجِلَّة، ومن المسائلة المتفرعة عنها مسألة اللفظ، وهي قول: " لفظي بالقرآن مخلوق "، فلما كان اللفظ مصدرًا قد يُقصد به الفعل -وهو أفعال العباد من حركة اللسان- وهي مخلوقة، أو المفعول -وهو القرآن نفسه- وهو غير مخلوق منع من ذلك أئمة السنة، بل بدَّعوا من خالف في ذلك، قال قوام السنة: " **وأول من قال باللفظ، وقال ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، حسين الكرابيسي فبدَّعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار** "[(١)].

وقد أحببت المشاركة بكتابة هذه الرسالة المختصرة في هذه المسألة المهمة في تحرير مذهب الإمام البخاري، وأنه لا فرق بينه وبين الإمام أحمد، وفيها بيان سبب نسبة القول للإمام البخاري مع بعض التنبيهات والمهمات، أسأل الله أن ينفع بها، ويتقبلها.

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

١٥ / ١ / ١٤٤٦هـ

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١ / ٣٧٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد:

فإن مذهب الإمام البخاري كمذهب الإمام أحمد في اللفظ لا فرق بينهما، وهو مذهب أهل السنة إلا أن الإمام أحمد أصرح في الإنكار على اللفظية، والبخاري أكثر تفصيلًا وبيانًا في أن أفعال العباد من التلفظ والتلاوة والمداد مخلوقة دون المتلفظ به والمتلو وذلك للحاجة في زمانه، فكلاهما يعتقدان عدم قول: " ألفاظنا وتلاوتنا بالقرآن مخلوقة " فحسب، أو قول:" ألفاظنا وتلاوتنا بالقرآن غير مخلوقة " فحسب، بل يفرقان بين التلاوة والمتلو واللفظ والملفوظ، قال الإمام ابن القيم: " **وهذا قول السلف وأئمة السنة والحديث، فهم يميزون بين ما قام بالعبد وما قام بالرب** ..."، ثم قال: " **هذا مذهب الإمام البخاري ومذهب الإمام أحمد وأصحابهما من سائر أهل السنة، فخفي تفريق البخاري وتمييزه على جماعة من أهل السنة والحديث** " [(١)].

وكلام الإمام أحمد صريح في إنكار من تكلم باللفظ أو التلاوة وحدها بزعم أنه مخلوق أو غير مخلوق، وليس عن أحمد -فيما أعلم- أنه ضلل من فرق بين التلاوة والمتلو وإن كان قد أغلق الباب -كما سيأتي- لحكمة، فقال: " **افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقةٍ قالوا: كلام الله وتسكت، وفرقةٍ قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق، قال الله عز وجل في كتابه: {فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ} [التوبة: ٦] فجبريل سمعه من الله، وسمعه النبي ﷺ من جبريل -عليه السلام- وسمعه أصحاب النبي ﷺ من النبي، فالقرآن كلام الله غير مخلوق** " [(٢)].

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٥١٠).

(٢) ذكر محنة الإمام أحمد برواية صالح (ص ٧٢)، وانظر: «الإبانة الكبرى - ابن بطة» (٥/ ٢٩٧) رقم: (٧٢)، والسنة للخلال (٥/ ١٢٥) رقم: (١٧٧٧)، و«الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٢٠).

وقال عبد الله: **" سألت أبي رحمه الله، قلتُ: ما تقول في رجل قال: التلاوة مخلوقة، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق؟ وما ترى في مجانبته؟ وهل يسمى مبتدعًا؟ فقال: "هذا يُجانب، وهو قول المبتدع، وهذا كلام الجهمية، ليس القرآن بمخلوق، قالت عائشة -رضي الله عنها-: تلا رسول الله ﷺ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} [آل عمران: ٧] فالقرآن ليس بمخلوق "** [(١)].

وقال عبد الله: **" كان أبي -رحمه الله- يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، أو يقال: مخلوق، أو غير مخلوق "** [(٢)].

وقال ابن حجر: **" وقد ثبت عن البخاري أنه قال: من نقل عني أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب، وإنما قلت إن أفعال العباد مخلوقة "** [(٣)].

قال ابن تيمية: **" إلا بعض أهل الغرض نسب البخاري إلى أنه قال ذلك، وقد ثبت عنه بالإسناد المرضي أنه قال: من قال عني أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب "** [(٤)]، قال الذهبي في السير: **" وأما البخاري، فكان من كبار الأئمة الأذكياء، فقال: ما قلت: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وإنما حركاتهم، وأصواتهم وأفعالهم مخلوقة، والقرآن المسموع المتلو الملفوظ المكتوب في المصاحف كلام الله، غير**

---

(١) «السنة لعبد الله بن أحمد» (١/ ١٦٣) رقم: «١٧٨».

(٢) «السنة لعبد الله بن أحمد» (١/ ١٦٥) رقم: «١٨٦».

(٣) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٥٠٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٧٢).

مخلوق. وصنف في ذلك كتاب (أفعال العباد) مجلد، فأنكر عليه طائفة، وما فهموا مرامه كالذهلي، وأبي زرعة، وأبي حاتم، وأبي بكر الأعين، وغيرهم " [١].

وتقدم قول الإمام ابن القيم: **" وهذا قول السلف وأئمة السنة والحديث، فهم يميزون بين ما قام بالعبد وما قام بالرب ..."**، ثم قال: **" هذا مذهب الإمام البخاري ومذهب الإمام أحمد وأصحابهما من سائر أهل السنة، فخفي تفريق البخاري وتمييزه على جماعة من أهل السنة والحديث "** [٢].

ويعتقد الإمام أحمد والإمام البخاري أن أفعال العباد من التلاوة مخلوقة، والمتلو ليس مخلوقًا ... قال الإمام أحمد: **" القرآن كيفَ تصرّفَ في أقوالِهِ وأفعالِهِ فغيرُ مخلوقٍ، فأمَّا أفعالنا فمخلوقةٌ. قلتُ: فاللفظيةُ تعدُّهم يا أبا عبد الله في جملة الجَهْمية؟ فقال: لا، الجَهميةُ الذين قالوا: القرآن مخلوق "** [٣].

وقال البخاريُّ -رحمه الله-: **" حرَكاتُهم وأصواتُهم واكتسابُهم وكتابَتُهم مخلوقةٌ، فأمَّا القرآنُ المَتلوّ المُبينُ، المُثْبَتُ في المصحفِ، المَسطورُ، المكتوبُ، المُوعى في القلوب، فهو كلامُ الله، ليسَ بخَلقٍ، قال الله: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت: ٤٩] "** [٤]. وهذا واضح من البخاري في التفريق بين التلاوة والمتلو في سياق واحد، وهو قول كل علماء السنة لما فرقوا بين فعل العبد والقرآن نفسه-كما تقدم، وكما سيأتي-

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥١٠).

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٥١٠).

(٣) رواه الحاكم كما في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩١).

(٤) «خلق أفعال العباد للبخاري» (ص٤٧).

قال ابن تيمية: **" ولكن الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة قالوا: من قال: لفظي بالقرآن وتلاوتي أو قراءتي مخلوقة فهو جهمي. ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع لأن " اللفظ " و " التلاوة " و " القراءة " يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظا ومصدر قرأ يقرأ قراءة وتلا يتلو تلاوة ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته ليس هو بقديم باتفاق سلف الأمة وأئمتها حتى القدرية القائلون بأن أفعال العباد غير مخلوقة يقولون: إن ذلك ليس بقديم. ويقولون إنه مخلوق لله. والسلف والأئمة -كحماد بن زيد والمعتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وأحمد بن حنبل وغيرهم- أنكروا على من قال: إن أقوال العباد وأفعالهم غير مخلوقة، وقال يحيى بن سعيد: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة. وقال بعض هؤلاء: من قال إن هذا غير مخلوق فهو بمنزلة من قال: إن سماء الله وأرضه غير مخلوقة. وقد يراد بالتلاوة والقراءة واللفظ نفس القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ الذي هو كلام الله.**

ومن قال إن كلام الله الذي أنزله على نبيه مخلوق فهو جهمي؛ ولهذا قال أحمد وغيره من السلف: القرآن كلام الله حيث تصرف غير مخلوق ولم يقل أحد من السلف والأئمة إن أصوات العباد بالقرآن غير مخلوقة أو قديمة ولا قال أيضًا أحد منهم: إن المداد الذي يكتب به القرآن قديم أو غير مخلوق. فمن قال إن شيئًا من أصوات العباد أو أفعالهم أو حركاتهم أو مدادهم: قديم أو غير مخلوق فهو مبتدع ضال مخالف لإجماع السلف والأئمة. وقد بدع أحمد بن حنبل من هو أحسن حالًا من هؤلاء وأمر بهجرهم إن لم يرجعوا عن بدعتهم. و " مسألة القرآن " قد كثر فيها اضطراب الناس حتى قال بعضهم: مسألة الكلام حيرت عقول الأنام " [1].

وتقدم كلام ابن القيم، ونسبة هذا لأهل السنة.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢١٠).

وقد نُسب للبخاري قوله: " ألفاظنا بالقرآن مخلوقة "، وقد نفاه عن نفسه كما ثبت فيما تقدم فيما قرره ابن تيمية والذهبي وابن حجر.

وأنكر أحمد والبخاري على من قال: " لفظي بالقرآن غير مخلوق "، قال المروذي: " **وكتَبَ أبو عبد الله بخطِّه بين السَّطْرَيْن: " القرآنُ حيثُ تصرَّفَ غيرُ مَخْلوق "، وقال: " ما سَمِعْتُ أحدًا تكلَّم في هذا بشَيْءٍ "، وأنكرَ على مَن قال: لفظي بالقرآن غيرُ مخلوق** [(١)]**، وذكر صالح عن أبيه أنه أنكر على فوران المهاجر لما نقل عنه أن اللفظ بالقرآن غير مخلوق** " [(٢)]. وقال عبد الله: " **كان أبي رحمه الله يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، أو يقال: مخلوق، أو غير مخلوق** " [(٣)].

وقال ابن تيمية: " **فروى أبو بكر أحمد بن هارون الخلال -وهو الذي جمع نصوص أحمد في أصول الدين وأصول الفقه وفي أبواب الفقه كلها وفي الآداب والأخلاق والزهد والرقائق وفي علل الحديث وفي التاريخ وغير ذلك من علوم الإسلام- روي في " كتاب السنة " في الكلام على اللفظية عن أبي بكر ابن زنجويه قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع لا يكلم** " [(٤)].

وقال البخاري: " **وقعَ عندِي عن أحمد بن حنبل على اثنين وعشرينَ وجْهًا، كلُّها يُخالِفُ بعضُها بعضًا، والصَّحيحُ عندي أنَّه قال: ما سمعتُ عالمًا يقول: لفظي بالقرآن غيرُ مخلوق** " [(٥)].

---

(١) رواه الخلال كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٢٤).

(٢) ذكر محنة الإمام أحمد برواية صالح (ص ١٧٢).

(٣) «السنة لعبد الله بن أحمد» (١/ ١٦٥) رقم: «١٨٦».

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٢٥).

(٥) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٦).

وأخطأ بعض معاصري البخاري وقالوا: " ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة "، كأبي حاتم الرازي، فقد قال: " **اللفظ والملفوظ، والقراءة والمقروء واحد، وهو غير مخلوق** " [١].

وكأبي سعيد الأشج: " **قد أحدثوا في القرآن شيئًا، القرآن كلام الله غير مخلوق، ولفظنا به غير مخلوق، وهو بلفظنا غير مخلوق، وهو في صدورنا غير مخلوق، والذي نتلوه في محاريبنا غير مخلوق** " [٢].

قال ابن تيمية: " **والقول بأن " اللفظ غير مخلوق " نسب إلى محمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي؛ بل وبعض الناس ينسبه إلى أبي زرعة أيضًا ويقول إنه هو وأبو حاتم هجرا البخاري لما هجره محمد بن يحيى الذهلي، والقصة في ذلك مشهورة، وبعد موت أحمد " وقع بين بعض أصحابه وبعضهم وبين طوائف من غيرهم بهذا السبب وكان أهل الثغر مع محمد بن داود المصيصي شيخ أبي داود يقولون بهذا، فلما ولي صالح بن أحمد قضاء الثغر: طلب منه أبو بكر المروذي أن يظهر لأهل الثغر " مسألة أبي طالب" فإنه قد شهدها صالح وعبد الله ابنا أحمد، والمروذي، وفوران وغيرهم، وصنف المروذي كتابًا في الإنكار على من قال: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق، وأرسل في ذلك إلى العلماء بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان وغيرهم؛ فوافقوه.**

وقد ذكر ذلك أبو بكر الخلال في " كتاب السنة " وبسط القول في ذلك، ومع هذا فطوائف من المنتسبين إلى السنة وإلى اتباع أحمد كأبي عبد الله بن منده وأبي نصر السجزي وأبي إسماعيل الأنصاري وأبي العلاء الهمداني وغيرهم، يقولون: لفظنا

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٢٠).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٢١).

بالقرآن غير مخلوق. ويقولون: إن هذا قول أحمد. ويكذبون -أو منهم من يكذب- برواية أبي طالب ويقولون: إنها مفتعلة عليه، أو يقولون رجع عن ذلك، كما ذكر ذلك أبو نصر السجزي في كتابه " الإبانة " المشهور.

وليس الأمر كما قاله هؤلاء؛ فإن أعلم الناس بأحمد وأخص الناس وأصدق الناس في النقل عنه هم الذين رووا ذلك عنه؛ ولكن أهل خراسان لم يكن لهم من العلم بأقوال أحمد ما لأهل العراق الذين هم أخص به " (١).

وقال: **" وأما البخاري وأمثاله فإن هؤلاء من أعرف الناس بقول أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة؛ وقد رأيت طائفة تنتسب إلى السنة والحديث: كأبي نصر السجزي وأمثاله ممن يردون على أبي عبد الله البخاري يقولون: إن أحمد بن حنبل كان يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ وذكروا روايات كاذبة لا ريب فيها؛ والمتواتر عن أحمد بن حنبل من رواية ابنيه: صالح وعبد الله وحنبل، والمروذي؛ وقوزان، ومن لا يحصي عددهم إلا الله، تبين أن أحمد كان ينكر على هؤلاء وهؤلاء "** (٢).

وإنما توسع البخاري في بيان الفرق بين التلاوة والمتلو والقرآن وفعل العباد من القراءة كما أطال في (كتاب التوحيد) وكتابه (خلق أفعال العباد)؛ لأن بعض معاصريه بالغ وزعم أن التلاوة غير مخلوقة كما تقدم نقله عن بعضهم.

وسبب الخطأ على البخاري -والله أعلم- يرجع لأمور أربعة:

الأول: أنه ليس للبخاري إنكار على اللفظية -فيما أعلم- مع مسيس الحاجة، لأنه نُسب إليهم، ولو أنكر مرة أو مرتين ولم يشتهر عنه لما كان كافيًا لانتشار نسبة اللفظية

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٥٩).

إليه، إلا رواية نقلها أبو يعلى ولم أر لها إسنادًا، وفيها ما يستنكر، قال أبو يعلى: **" وقال محمد بن اسماعيل البخاري: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أنا رجل مبتلى، قد ابتليت ألا أقول لك، ولكن أقول، فإن أنكرت شيئا فردني عنه: القرآن من أوله إلى آخره: كلام الله، ليس شيء منه مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق، أو شيء منه مخلوق: فهو كافر، ومن زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق: فهو جهمي كافر؟ قال: نعم "** [(١)].

والمستنكر فيها قوله: **" أنا رجل مبتلى "** وفتنته وبلاؤه لم يقع إلا بعد موت أحمد.

الثاني: أن البخاري سُئِلَ عن اللَّفظ بالقرآن؟ قال: **" أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا "، ففَهِمَ بعضُ مَن حضَرَ مَجْلِسَه أنَّه يقول: "لفظي بالقرآن مخلوق" وأبى ذلك آخرون "** [(٢)]، وهذه اللفظة الموهمة مع عدم شدة إنكاره على اللفظية ومع وقوع الحسد تشيع هذه الفتنة والمحنة.

الثالث: خطأ بعض معاصريه، وظنهم أن اللفظ غير مخلوق -كما تقدم- فسيشنعون عليه لأنه خالفهم في اعتقادهم.

الرابع: الحسد من بعض أهل عصره، قال محمد بن شادل -وكان محدثًا ثبتًا-: **" لما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري دخلت على البخاري فقلت: يا أبا عبد الله، أيش الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى، كل من يختلف إليك يطرد؟**

فقال: " كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم، والعلم رزق الله يعطيه من يشاء" فقلت: هذه المسألة التي تحكى عنك؟ قال: "يا بني، هذه مسألة مشؤومة، رأيت أحمد بن حنبل وما ناله في هذه المسألة، وجعلت على نفسي أن لا أتكلم فيها " [(٣)].

---

(١) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٢٧٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٥٨)، و«هدي الساري» (ص ٤٩٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٥٧).

قال ابن القيم: **" وساعد ذلك نوع حسد باطن للبخاري لما كان الله نشر له من الصيت والمحبة في قلوب الخلق واجتماع الناس عليه حيث حل، حتى هضم كثير من رياسة أهل العلم وامتعضوا لذلك، فوافق الهوى الباطن الشبهة الناشئة من القول المجمل، وتمسكوا بإطلاق الإمام أحمد وإنكاره على من قال لفظي بالقرآن مخلوق وأنه جهمي، فتركب من مجموع هذه الأمور فتنة وقعت بين أهل الحديث.**

قال الحاكم أبو عبد الله: سمعت أبا القاسم طاهر بن أحمد الوراق يقول: سمعت محمد بن شاذان الهاشمي يقول: لما وقع بين محمد بن يحيى ومحمد بن إسماعيل دخلت على محمد بن إسماعيل فقلت: يا أبا عبد الله إيش الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى، كل من يختلف إليك يطرد من منزله وليس لكم منزل، قال: محمد بن يحيى كم يعتريه الحسد في العلم، والعلم رزق من الله تعالى يعطيه من يشاء، فقلت: يا أبا عبد الله، هذه المسألة التي تحكى عندك، فقال لي هذه مسألة مشؤومة رأيت أحمد بن حنبل وما ناله من هذه المسألة جعلت على نفسي لا أتكلم فيها " [1].

تنبيهات:

التنبيه الأول: احتاج البخاري إلى مزيد تفصيل ليصلح ما سرى لبعض أهل السنة من الغلو، فقالوا: ألفاظ العباد بالقرآن غير مخلوقة. ومنهم من ظن المداد التي كتب بها القرآن غير مخلوقة، فاحتاج البخاري -وهذا بخلاف الإمام أحمد- لمزيد تفصيل.

قال ابن تيمية: **" مسألة تلاوة القرآن وقراءته واللفظ به، هل يقال إنه مخلوق أو غير مخلوق؟ والإمام أحمد قد نص على رد المقالتين هو وسائر أئمة السنة من المستقدمين والمستأخرين؛ لكن كان رده على " اللفظية النافية " أكثر وأشهر وأغلظ لوجهين"، -ثم**

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٥١٠).

قال- " أن أحمد إنما ابتلي بالجهمية المعطلة فهم خصومه، فكان همه منصرفًا إلى رد مقالاتهم؛ دون أهل الإثبات؛ فإنه لم يكن في ذلك الوقت والمكان من هو داع إلى زيادة في الإثبات؛ كما ظهر من كان يدعو إلى زيادة في النفي، والإنكار يقع بحسب الحاجة، والبخاري لما ابتلي " باللفظية المثبتة " ظهر إنكاره عليهم كما في تراجم آخر " كتاب الصحيح " وكما في " كتاب خلق الأفعال " مع أنه كذب من نقل عنه أنه قال: لفظي بالقرآن مخلوق من جميع أهل الأمصار، وأظنه حلف على ذلك وهو الصادق البار " [(١)].

ومعنى هذا أن الإمام البخاري فرَّق بين المتلو والتلاوة في كلام واحد متصل، ومثله التفريق بين اللفظ والملفوظ في كلام واحد متصل، ومعنى هذا يقر به جميع أئمة السنة -كما تقدم- ولم يفصل بينهما أحمد لأن رده على اللفظية النافية أكثر -كما سبق في كلام ابن تيمية- بخلاف البخاري، إلا في رواية واحدة -فيما وقفت عليه- وهو ما روى إبراهيم الحربي عن الإمام أحمد قوله: **" كنت جالسًا عند أحمد بن حنبل إذ جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله إن عندنا قومًا يقولون إن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة، قال أبو عبد الله: يتوجه العبد لله بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق "** [(٢)]، وهذه الرواية وإن كان إسنادها ضعيفًا [(٣)] لكن ليس فيها ما يستنكر من جهة المعنى -لما تقدم بيانه- والله أعلم.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه إبراهيم الحربي في «رسالة في أن القرآن غير مخلوق» (ص٣٣) وابن المحب في «صفات رب العالمين» (٢/ ٥٣١)، وذكره ابن القيم كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٥١٥).

(٣) في إسناده جعفر بن إدريس القزويني ضعفه الدارقطني كما في لسان الميزان (٢/ ١١٠).

التنبيه الثاني: إن عادة الأشاعرة موافقة أهل السنة لفظًا ومخالفتهم حقيقة، ومنها مسألة اللفظ، فقد قرر أبو الحسن وغيره من الأشاعرة إنكار لفظي بالقرآن، وأولوا ذلك وتلاعبوا بأن جعلوا سبب إنكار هذا اللفظ أن معنى اللفظ النبذ والطرح، قال ابن تيمية: **" وطائفة أخرى: كأبي الحسن الأشعري والقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلى وغيرهم ممن يقولون إنهم على اعتقاد أحمد بن حنبل وأئمة أهل السنة والحديث قالوا: أحمد وغيره كرهوا أن يقال: لفظي بالقرآن؛ فإن اللفظ هو الطرح والنبذ "** (١).

وقال: **" كالأشعري والقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلى وغيرهم- يوافقون أحمد على الإنكار على الطائفتين على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق وعلى من يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، ولكن يجعلون سبب الكراهة كون القرآن لا يلفظ؛ لأن اللفظ الطرح والرمي. ثم هؤلاء منهم من ينكر تكلم الله بالصوت، ومنهم من يقر بذلك؛ بل منهم من يقول إن الصوت المسموع هو الصوت القديم وينكرون مع ذلك على من يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ لظنهم أن الكراهة في ذلك لما فيه من الطرح والرمي وليس الأمر على ما ظنوه، فإن الإمام أحمد وغيره من الأئمة لم ينكروا قول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لكون اللفظ الطرح، فإنه لو كان كذلك لما أنكروا إلا مجرد ما يتصرف من حروف لفظ يلفظ وليس كذلك؛ بل أنكروا على من قال التلاوة والقراءة مخلوقة وعلى من قال: تلاوتي وقراءتي غير مخلوقة، مع جواز قول المسلمين: قرأت القرآن وتلوته.**

وأيضًا فإنه يجوز أن يقال: لفظت الكلام وتلفظت به كما قال تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}، ولكن الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة قالوا: من قال:

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٥٩).

لفظي بالقرآن وتلاوتي أو قراءتي مخلوقة فهو جهمي، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع. لأن " اللفظ " و " التلاوة " و " القراءة " يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظًا، ومصدر قرأ يقرأ قراءةً، وتلا يتلو تلاوةً، ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته " [١].

التنبيه الثالث: لم يُكفر الإمام أحمد اللفظية لمجرد القول باللفظ إلا إذا أراد أن القرآن نفسه مخلوق، روى عبد الله عن أبيه الإمام أحمد أنه قال: **" من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن، فهو كافر "** [٢]، وقال: **" كل من يقصد إلى القرآن بلفظ أو غير ذلك يريد به مخلوق فهو جهمي "** [٣].

بل وقال أحمد بن الفرات: **" من قال لفظي بالقرآن مخلوق، يريد أن يحتال في القرآن بشيء من الأشياء أو بوجه من الوجوه مما يدعو ذلك إلى أن يقول القرآن مخلوق فهو جهمي خبيث "** [٤].

ووصفُ أحمد اللفظية بأنهم جهمية لا يلزم منه التكفير، قال ابن تيمية: **" كما أن الأئمة -كأحمد وغيره- كانوا يقولون: افترقت الجهمية على " ثلاث فرق ": فرقة يقولون: القرآن مخلوق. وفرقة تقف ولا تقول مخلوق ولا غير مخلوق. وفرقة تقول: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة. ومن المعلوم أنهم إنما أرادوا بذلك افتراقهم في " مسألة القرآن " خاصة وإلا فكثير من هؤلاء يثبت الصفات والرؤية والاستواء على العرش وجعلوه من الجهمية في بعض المسائل: أي أنه وافق الجهمية فيها؛ ليتبين ضعف قوله لا أنه مثل الجهمية ولا أن حكمه**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٩).

(٢) «السنة لعبد الله بن أحمد» (١/ ١٦٥) رقم: (١٨٣).

(٣) «السنة لعبد الله بن أحمد» (١/ ١٦٥) رقم: (١٨٣).

(٤) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٢١).

حكمهم؛ فإن هذا لا يقوله من يعرف ما يقول، ولهذا عامة كلام أحمد إنما هو يجهم اللفظية لا يكاد يطلق القول بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية " [١].

التنبيه الرابع: اللفظية تستروا باللفظ عن القول الصريح في أن كلام الله مخلوق، فكان قولهم باللفظ من باب التستر والتدرج فقطع الطريق عليهم الإمام أحمد، قال الصابوني: **" والذي حكاه عن أحمد -رضي الله عنه وأرضاه-: أن اللفظية جهمية، فصحيح عنه، وإنما قال ذلك لأن جهمًا وأصحابه صرحوا بخلق القرآن، والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن، وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن، فأدرجوه في هذا القول ذي اللبس، لئلا يعدوا في زمرة جهم الذين هم شياطين الإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق، فلذلك سماهم أحمد رحمه الله جهمية، وحكي عنه أيضًا أنه قال: اللفظية شر من الجهمية "** [٢].

قال ابن تيمية: **" لكن لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأطفأ الله نار الجهمية المعطلة صارت طائفة يقولون إن كلام الله الذي أنزله مخلوق، ويعبرون عن ذلك باللفظ، فصاروا يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصودهم مجرد كلامهم وحركاتهم، بل يدخلون في كلامهم نفس كلام الله الذي نقرأ بأصواتنا وحركاتنا، وعارضهم طائفة أخرى فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، فرد الإمام أحمد على الطائفتين وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع "** [٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٦).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٧٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٥٥).

التنبيه الخامس: إذا فهم ما تقدم ذكره في مسألة اللفظ والتلاوة، وأن هناك فرقًا بين ذكر اللفظ أو التلاوة وحده نفيًا أو إثباتًا وبين ذكرهما وتفصيلهما بالتفريق بين اللفظ والملفوظ والتلاوة والمتلو، تبيَّن أنه -والله أعلم- لا خلاف بين ابن تيمية وابن القيم في هذه المسألة، خلافًا لبعض المعاصرين.

وفي الختام: أسأل الله أن يجزي أئمة السنة عن السنة وأهلها خيرًا، فقد ذادوا عن حياضها وضحوا بالغالي والنفيس لأجل حفظها وتنقيتها من كل شائبٍ ودخيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فهرس المراجع والمصادر

١. **الإبانة الكبرى لابن بطة**، دار الراية – الرياض.

٢. **الحجة في بيان المحجة**، دار الراية – ط٢.

٣. **الحجة في بيان المحجة**، دار الراية – ط٢.

٤. **خلق أفعال العباد – للبخاري**، دار المعارف – الرياض.

٥. **ذكر محنة الإمام أحمد**، دار أروقة، ت: مصطفى بن محمد صلاح الدين القبَّاني.

٦. **رسالة في أن القرآن غير مخلوق**، دار العاصمة – ط١.

٧. **السنة لأبي بكر الخلال**، دار الراية – ط١.

٨. **السنة لعبد الله بن أحمد**، دار ابن القيم – ط١.

٩. **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة – ط٣.

١٠. **صفات رب العالمين لابن المحب**، دار الخزانة – ط١.

١١. **طبقات الحنابلة لأبي يعلى**، مطبعة السنة المحمدية – ت: محمد حامد الفقي.

١٢. **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، دار العاصمة – ط٢.

١٣. **فتح الباري لابن حجر**، المكتبة السلفية – القاهرة.

١٤. **لسان الميزان**، مؤسسة الأعلمي – ط٢.

١٥. **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، مطبعة الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٦. **مختصر الصواعق المرسلة**، دار الحديث – ط١.